

دور المثقف العربي المعاصر الواقع و الآفاق

محمود سمايلي قسم علم الاجتماع - جامعة قسنطينة
ربيع شتيوي قسم علم الاجتماع - جامعة جيجل

المخلص:

يعتبر الحديث عن المثقفين في المجتمعات العربية من القضايا التي ما تزال تثير الكثير من التساؤلات، لدورهم المتميز في استمرار التنمية الاجتماعية و قيادة الفكر البشري غير أننا و نحن نتحدث على هذه الفئة تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات حول من هم هؤلاء الأشخاص الذي يمكن أن يوصفوا بالمثقفين و عن أسباب تراجع دورهم في إنتاج الفكر المعرفي و اتساع الهوة بينهم و بين فئات المجتمع التي ينتمون إليها.

و في هذا الإطار و انطلاقا من آراء و أفكار بعض الكتاب و المفكرين الذي اهتموا بهذا الموضوع سنحاول تحليل واقع و مستقبل المثقف في المجتمعات العربية من خلال تحديد مفهوم المثقف، و وضعيته في الجماعة التي ينتمي إليها، و الأسباب التي أدت إلى تدهور هذا الدور، و في الأخير تصور الدور المستقبلي للمثقف في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية.

مقدمة

يحتل الخطاب حول المثقف موقعا متميزا في الحقلين الأكاديمي و السياسي وذلك بالنظر إلى الموقع المتميز الذي يحتله هذا المثقف ضمن جماعة الانتماء، و لا شك أن العوامل الثقافية تشكل أهمية حيوية في تحديد الدور الذي يمكن أن يلعبه المثقفون في استمرار التنمية الاجتماعية و توجيه و قيادة الفكر البشري نحو التحدي و التطور، و انطلاقا من هذه الأهمية فالمثقف لا بد له من أداء دور حيوي في تغيير الحركة الاجتماعية، و هو الدور الذي يعني أهميته في الموقع الاجتماعي.

إن المتتبع لحركة الفكر النقابي في المجتمعات العربية يدرك أن هذه الحركة عرفت فترات متميزة اتسمت كل فترة بخصائص وسمات فكرية مميزة، ففي بداية القرن التاسع عشر لاقت هذه الحركة رواجا كبيرا لتزامنها مع حركات التحرر في الوطن العربي و قد كانت وظيفتها الدفاع عن المصالح الوطنية و حاجات شعوبها و إنارة العقول و تحريك الأذهان كمقدمة لتغيير المجتمعات والنظم السياسية، فبرز العديد من رواد النهضة العربية ممن جمعوا بين الثقافة و الممارسة السياسية فقام الأفغاني أشهر ممثل للإصلاح الديني بإعادة فهم العقائد من أجل المقاومة، لمقاومة الاستعمار في الخارج، والقهر في الداخل، وأسس كل من الطهطاوي (1801-1873) في مصر، وخير الدين (1810-1890) في تونس الفكر السياسي الليبرالي الحديث في " مناهج الألباب " و في " أقوم المسالك " و الذي على أساسه قامت الدول الوطنية الحديثة. كما كان أيضاً لرواد الفكر العلمي أمثال شبلي شميل (1860-1917) وفرج أنطون (1874-1922) ويعقوب صروف (1852-1927) وسلامة موسى (1888-1958) دورا في الدفاع عن حرية

الفكر كمقدمة للدفاع عن الحرية السياسية، وعن حرية الفرد كمقدمة لديمقراطية الحكم، وعن المعذبين في الأرض، والقرية الظالمة دفاعاً عن العدالة الاجتماعية. وكما قامت ثورة عرابي (1841-1911) إثر تعاليم الأفغاني، وقامت ثورة 1919 بفضل الفكر الليبرالي تلتها الثورات العربية بداية بثورة 1952 بفضل الأفكار الوطنية والاشتراكية التي روّجها الفكر العلمي⁽¹⁾.

أما في السبعينات فقد انفتحت هذه الحركة على الثقافات الغربية و اتجهت نحو دعم النهج السياسي للسلطة و التموقع فيها، أما في السنوات الأخيرة حيث كان التغيير السياسي و الاقتصادي الذي واكب العولمة يحيا المثقف العربي حالة من الغربة في مجتمعه بالنظر إلى عدم تمكنه من الحفاظ على دوره التقليدي وهو إنتاج الفكر المعرفي فانتسعت الهوة بين المثقف و فئات مجتمعه التي ينتمي إليها من جهة و تنكر السلطة السياسية لدوره و تضيق الخناق عليه من جهة أخرى.

إن التباين في هذه الأدوار يعلن وجود أزمة حقيقية في الأوساط الثقافية العربية تعود في الأساس إلى طبيعة البناء الفكري لدى هؤلاء المثقفين وواقع الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في البلدان العربية.

و أمام تفاقم حدة هذه الأزمة برزت العديد من الدراسات و الأبحاث التي خلصت إلى نتيجة مفادها أن المثقف لم يعد له وجود فعلي في مجتمعه الأمر الذي جعل العديد من أفراد النخبة المثقفة يكتفون من جهودهم لتشخيص أسبابها الحقيقية و تغيير مسارها.

و في هذا الإطار و انطلاقاً من آراء و أفكار بعض الكتاب و المفكرين الذي اهتموا بهذا الموضوع سنحاول تحليل واقع و مستقبل المثقف في المجتمعات

العربية من خلال تحديد مفهوم المثقف، و وضعيته في الجماعة التي ينتمي إليها، و الأسباب التي أدت إلى تدهور هذا الدور، و في الأخير تصور الدور المستقبلي للمثقف في ظل التحديات التي تعيشها البلاد العربية.

1- مفهوم المثقف في المجتمعات العربية

يحيل مفهوم المثقف إلى جدل كبير أدى إلى غموض في هذا المفهوم وإلى التباين في أطره العامة و الحق أن هذا المفهوم عرف العديد من التعريفات تتفق في المضمون غير أنها تختلف في الشكل و قد نجد أن هناك من المفكرين من يضع مجموعة من التعاريف تتميز فيما بينها بحسب الحالة التاريخية.

إن الاستخدامات الأولى لكلمة مثقف كانت في أواخر القرن 19 عندما صدرت جريدة *L'Aurore* الفرنسية بعنوان **إعلان المثقفين** و ذلك بمناسبة اعتراض أصحابه على الاعتداء على الإجراءات الشكلية المتعلقة بحماية المواطن أثناء محاكمته وذلك أثناء النظر في قضية **دريفوس*** الشهيرة، والتي كانت من نتائجها إضفاء صفة الشرعية على وجود المثقفين⁽²⁾. في حين أن أول من استعمل هذه كلمة مثقف هو **كليمانصو Clemenceau** عندما كتب يقول " أليست هذه إشارة كل هؤلاء المثقفين الذين جاءوا من كل الاتجاهات و اجتمعوا للدفاع عن فكرة؟"⁽³⁾. و لتحديد هذا المفهوم في المجتمعات العربية ينبغي الإشارة إلى مرجعين أساسين لهما وزنهما في الفكر الأكاديمي المتخصص و في حقل الثقافة العامة سواء في الثقافة العربية أو الثقافة الغربية وهذان المرجعان هما **غرامشي (Gramsci)** و **سارتر (Sartre)**.

ميز غرامشي (Gramsci) بين صنفين من المثقفين المثقف العضوي وهو الذي يعمل على إنجاح المشروع السياسي والمجتمعي الخاص بالكتلة التاريخية المشكلة من الفلاحين و العمال مقابل المثقف التقليدي الذي يوظف أدواته الثقافية للعمل على استمرار الهيمنة الثقافية لهذه الكتلة هذه القراءة امتد تأثيراتها من ايطاليا إلى فرنسا إلى الوطن العربي⁽⁴⁾.

أما سارتر (Sartre) فقد كان لكتابه **دفاع عن المثقفين (plaidoyer pour les intellectuels)** نصا متميزا في بيان وظيفة المثقف داخل مجتمعه عندما يعتبر المثقف " كل شخص بلغ الشهرة بفضل أعماله في مجال الفكر، ويستغل تلك الشهرة للتدخل في أمور خارج مجال تخصصه، أو باختصار التدخل فيما لا يعنيه"⁽⁵⁾.

و قد تنوعت هذه التعاريف بين المفكرين و الباحثين فقد اعتبره فيبر Weber بأنه المفكر المتميز والمتسلح بالبصيرة و بارسونز Parsons بمفهوم المفكر المتخصص في أمور الثقافة و الفكر المجرد البعيد عن أمور الحياة وباسكال اري Pascal ory بالشخص الذي يعمل على إيصال ما يفكر فيه إلى الآخرين⁽⁶⁾.

إن المتفحص لهذه التعاريف يدرك تماما أنها تثير الكثير من القضايا بعضها يتعلق بمصدر المعرفة و أخرى تختص بنوعية الثقافة وأشكالها، وثالثة تثير قضية العلاقة بين المثقف و النخبة السياسية و رابعة تركز على التخصص الفني

أما في البلاد العربية فقد استخدم مفهوم المثقف في سياقه العربي، للدلالة على دور شغله أهل الرأي والفقهاء ورجال الدين، وهو استخدام حديث العهد نسبياً دخل إلى العربية ليحل محل ألفاظ عديدة نجدها في التراث العربي، مثل الفقيه، الإمام، المتصوف، العالم، المتكلم، الشيخ، الفيلسوف وقد توصل

د. محمد عابد الجابري في بحثه (المثقفون في الحضارة العربية) إلى النتيجة التالية: " كان الأمراء هم العلماء، وكان الصحابة أمراء وعلماء في الوقت نفسه، يحكمون بالشرع ويشرعون للحكم، ثم حصل خلاف حول الحكم، فاستأثر الأمراء بالسلطة وتمسك العلماء بالرأي، وحصل استبداد بـ (الأمر) أدى إلى استقلال الرأي، فانفصل العلم والثقافة عن السياسة وبدأت فئة المثقفين الأوائل في الإسلام بالظهور" (7).

أما عن تعريف المثقف عند بعض المفكرين العرب فقد اتخذ عدة أسس، فمنهم من اشترط توفر معيار التعليم و الثقافة، ومنهم من يرى بأن المثقف هو الذي يسعى إلى التغيير و بالتالي لا بد من وجود معيار التغيير، والبعض الآخر من يطرح معيار المشاركة في بناء المجتمع، وأخيرا مجموعة أخرى تعتبر أن للمثقف دورا هاما في المجتمع يتركز على نقد السلطة و أن يظل دائما ناقدا لها و ليس مبررا لسلوكها(8).

أما أهم التعاريف التي تناولت مفهوم المثقف في المجتمعات العربية كما يراه بعض المفكرين و الكتاب العرب فنوردها كما يلي:

يعتبر د. زكي نجيب محمود من أكثر الكتاب الذين اهتموا بموضوع المثقف و افرزوا له حيزا كبيرا من التعريفات فقد وصفه في احد تعاريفه " بالشخص الذي يحمل في ذهنه أفكارا من إبداعه هو أو من إبداع سواه، و يعتقد إن تلك الأفكار جديرة بأن تجد طريقها إلى التطبيق في حياة الناس فيكرس جهده لتحقيق هذا الأمل "، و في تعريف آخر لنفس المفكر يرى فيه أن المثقف" هو الشخص الذي يروج للقيم العليا (أخلاقية أو جمالية) و في هذا يكون الفرق بين المتخصص الذي وقف عند تخصصه في فرع من العلوم، و المثقف الذي ينشر الفكر ليس لمجرد لأنه أي فكر وكفى و لكن لأنه في نظره هو الفكر الذي يتيح حياه أفضل "، و عرفه أيضا:

" بأنه هو من أدرك مثلاً للحياة الإنسانية ثم لا يقف عند مجرد الإدراك، بل حاول تغيير الحياة وفق ما أدركه شريطة أن يجيء هذا التغيير في الاتجاه الذي يسير فيه التاريخ... الخر" (9).

أما المفكر حيدر إبراهيم فيرى في المثقف هو " ذلك الشخص الذي يتحلّى بالمعرفة مضافاً إليها العمل و الممارسة و وفقاً للثقافة المكتسبة، فالمثقف هو متعلم أو متخصص و زيادة، أي صاحب قضية اجتماعية و سياسية يعمل أجلها وفق رؤية للعالم، و لذلك يعتمد تحديد معنى المثقف على التطور التاريخي أو مستوى المحددات الاقتصادية و الاجتماعية لكل مجتمع، كذلك يتغير دور المثقفين و تأثيرهم حسب هذه المعطيات" (10).

أما أحمد موصلي و لؤي صافي فقد عرفا المثقف بأنه " الشخص الذي يهتم بتفكيك و إظهار التناقضات المجتمعية، موظفاً في ذلك هواجسه واهتماماته" (11).

أما إدوارد سعيد فيرى " أن المثقف فرد له في المجتمع دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجه له، أو كعضو كفو في طبقة ما لا يهتم إلا بأداء عمله، و يرى أن الحقيقة المركزية بالنسبة لي هي أن المثقف و هب ملكة عقلية لتوضيح رسالة أو وجهة نظر أو موقف أو فلسفة أو رأي و يشترط على المثقف أن يمتلك صفة التمثيل أي أن يقوم المثقف بتمثيل وجهة نظر ذات طبيعة معينة و يعبر بجلاء لجمهوره عن تلك الأفكار التي يمثلها برغم الحواجز و العوائق" (12).

انطلاقاً من التعريفات السابقة للمثقف يمكن القول أن التعريف الذي يعتبر المثقف بأنه المتعلم الحاصل على الشهادة الجامعية هو تعريف سطحي، لأنه يعني ضمناً أن كل متعلم مثقف غير أن للمثقف وظائف أخرى تميزه من بقية المتعلمين.

و قد نخلص إلى تعريف للمثقف لنقول هو ذلك الشخص المتعلم الذي يدرك ما يحيط به ويستوعبه و يشارك بوعيه في بناء وتغيير الأوضاع المحيطة به.

2- واقع المثقف في المجتمعات العربية

يجمع الخطاب العربي المعاصر أن المثقف العربي يعاني أزمة متعددة الأبعاد تعكس حالة التفكك الموجودة في المجتمع العربي فهو مجتمع فاقد للفاعلية و متفقه كذلك لم يعد يتميز بخصوصيته و هي إنتاج المعرفة و قد أصبح في مؤخرة المجتمع و في عزلة تامة عنه⁽¹³⁾، لأنه لم يبق وفيها لأصوله الحضارية و لمنطلقات هذه الأصول الفكرية ذلك انه خرج من المجتمع و لم يعد إليه ليجد نفسه في مأزق. ووفق هذا الحال كانت علاقات فئات المجتمع مع المثقف يطبعها دائما الحذر والشك نتيجة لعدم وعي خطابه مثل الديمقراطية، العولمة، الحداثة..الخ، فهي أفكار لا تعبر على قيم متأصلة في الوسط التاريخي و الثقافي والحضاري لهذا المجتمع، ومن شأن هذا الوضع أن يخلق تمايز اجتماعي و ثقافي بين المثقف و المجتمع الذي ينتمي إليه بدعوة المحافظة على سلطته الثقافية و الفكرية و الرمزية، ولذلك يرى الكاتب برهان غليون " انه من الصعب إزالة هذا التمايز الموجود بين الثقافة الشعبية و الثقافة العليا، أو جعل ثقافة الشعب اليومية ثقافة علمية أو عقلية خاضعة لنفس القواعد والأطر و المعايير التي تخضع لها الثقافة العليا لأن من الصعب أن تتحول الثقافة الشعبية كما يحلم آخرون إلى ثقافة قائدة"⁽¹⁴⁾.

إن المثقف العربي يوصف اليوم في مجتمعه بالشخص المثالي لأنه يعتمد في مشاريعه على الخطاب الثقافي المجرد والبعيد عن ثقافة مجتمعه الأصيل،

فهو ليس ذلك الشخص المؤثر في الحياة العامة و في القضايا الكبرى التي تخص المجتمع و موجهها لأفكاره ورمزا لتطلعاته المستقبلية⁽¹⁵⁾. لذا فإن التحدي الأساسي أمام المثقف العربي في الوقت الراهن هو الارتفاع فوق ذاته و فوق الموقف الذي يحمله حيال مجتمعه لتحقيق و استرجاع صورة الثقافي العربي القادر على إحداث التوازن بين ما هو اجتماعي وما هو معرفي. ولا يتحقق له ذلك إلا بالتخلص من الأوهام التي تسيطر على فكره وتصوراته (وهم الثورة، وهم الحقيقة، وهم الاستقرار، وهم الفردية، وهم الذاتية...) كما يراها جلال فاروق الشريف، (في كتابه: **بعض قضايا الفكر العربي المعاصر**) حتى تجعل وفي المقام الأول، "مشكلة المثقف مع نفسه وأفكاره، مع رؤيته للعالم ومفهومه للحقيقة، إذ تكمن مشكلته في نخبويته بالذات. فالمثقف بقدر ما تعامل مع نفسه بوصفه ينتمي إلى النخبة الممتازة أو الصفوة المختارة، صار في عزلة عن الناس والمجتمع، وانتهى به المآل إلى فقدان المصداقية والفاعلية. ومشكلته ثانياً تكمن في طريقة تعامله مع أفكاره، فالمثقف تعامل مع مقولاته على نحو دوغمائي أو أحادي تبسيطي. لقد غلبت عنده إرادة العقيدة على إرادة المعرفة. وتكمن مشكلته ثالثاً في رؤيته الماورائية للحقيقة أي في تعامله مع الواقع كموضوع يمكن القبض عليه عن طريق التصورات فحسب"⁽¹⁶⁾.

و الحال هكذا فقد أصبح المثقف العربي لدى عامة الناس في المجتمعات العربية مجرد شخص يكتب لذاته و يعيش على مخلفات كتابات و أفكار غيره من المثقفين الذين سبقوه فلم يعد ذلك الفاعل الذي بإمكانه أن يحدث التغيير كما أحدثه غيره من الكتاب و المثقفين.

إن هذه الوضعية التي أصبحت تميز الفئة المثقفة في البلاد العربية يردها البعض إلى اللغة العنيفة التي أصبحت تميز كتابات المثقفين ولهجتهم الحادة القائمة على التجريح و الرفض فقط، إلى جانب الصراع القائم فيما بينهم الذي يقوم على الانتماء لا على الأفكار مما جعلهم يصنفون في البلاد العربية بحسب المنطلقات و الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية التي يعتقدونها إلى أرياف المثقفين وإلى حواضر المثقفين بحسب رأي الدكتور **معن خليل عمر**.

أ - **صنف أرياف المثقفين**: يشير هذا الصنف إلى الجمود الفكري و المعرفة السطحية و الضيق في الرؤية الثقافية بسبب الانعزال و عدم القدرة على التحدي و الدخول في العمليات الصراعية و التفاعل معها بسبب الخوف من التغيير مما تجده يقبل بالتبعية و الاستسلام و يحافظ على الأفكار الجامدة ويدافع عليها وقد حدده **د. معن خليل عمر** في أربع نماذج هي:

1- نموذج ذو منطلق موقفي و هو المتميز بمواقفه الدقيقة تجاه ثقافة مجتمعه و تجاه الثقافات الأخرى و التي من خلاله يحدد هدف المثقف و مركزه الخاص من المثقفين في مجتمعه، فإذا كان اتجاهه استعلائياً على عناصر ثقافة مجتمعه بسبب انحطاطية اتجاهه الثقافي إزاء الثقافات الأخرى، فإن هذا الصنف سيقوم بطرح سلبيات ثقافة مجتمعه المحلي (المعرفي والتعليمي) و العام و يببالغ فيها فضلاً عن انتقاصه من مواقع مثقفي مجتمعه و دورهم، و الهدف من ذلك هو خلق القلق الثقافي في مجتمعه مما قد يؤدي إلى إعاقة النمو الثقافي داخل مجتمعه⁽¹⁷⁾.

2- المثقف ذو المنطلق السلطوي: هذا الصنف ينتشر بكثرة في المجتمعات العربية بحيث يعمل على استحواذ أعمال و تجارب و أفكار الآخرين و ينسبها

لأفراد لم يساهموا في طرحها أو استعمالها دون الإشارة إلى أصحابها وصفه نراها لدى بعض المثقفين ممن يقومون باقتباس الأعمال و التجارب و الأفكار و المراجع و المصادر التي ظهرت في مجتمعات أجنبية و قدمها على أنها من أفكارهم و أعمالهم الخاصة، و تنتشر هذه الظاهرة خاصة في الوسط الفني والمسرحي والجامعي بسبب انعدام الأمانة العلمية و ما الصراع الموجود بين ممتهني الفن بأشكاله إلا دليل على انتشار هذا النوع من أشباه المثقفين⁽¹⁸⁾.

3- المثقف ذو المنطلق الادعائي: يعبر هذا النموذج على المثقفين الذين يدعون بالتخصص في ميادين أخرى دون تخصصهم الأصلي، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمواقع الحيوية في البناء المعرفي، وذلك باستعمال جميع الوسائل الاخلاقية من اجل إثبات هذا الانتماء ما يجعل تميزه قار وواضحا في عطائه المعرفي بحيث يصبح ينقلب من نظرية معرفية إلى أخرى ومن منهج إلى آخر و ذلك بحسب حاجته لهذا الموقع المعرفي⁽¹⁹⁾.

4- المثقف ذو المنطلق الموقعي: و هو يعرف أيضا باسم المثقف المختص الذي يداهن المواقع الإدارية و المعرفية لكي يصل إلى مستويات إدارية ومعرفية رفيعة مدافعا عن السلطة تابعا منصاعا لأوامرها دون أن يفيد مجتمعه أو يثري المعرفة بشيء بل يصبح بوق من أبواق السلطة و مستغلا لهذه المواقع ليحقق أهدافه، و بالتالي فإنه يصبح موظفا في المعرفة و ليس مختصا فيها⁽²⁰⁾.

ب- **صنف حواضر المثقفين:** و هم أصحاب المنطلقات الصريحة و القادرين على الدخول في العمليات الصراعية والإسهام فيها و قيادتها عن طريق كتاباتهم و توجيه الصراع للصالح العام وليس الخاص بما تملكه من رؤية واسعة للأحداث الفردية و الاجتماعية و هم أربعة نماذج:

1- نموذج ذو منطلق تفاعلي: وهو المثقف المطلع على ثقافات غير ثقافة مجتمعه مقارنا ذلك مع ثقافة مجتمعه مبرزاً أوجه الاختلاف و التشابه بينهما و حقق تفاعلاً بين خبراتهما و أهدافهما.

2- نموذج ذو منطلق نقدي: أي الشخص الذي رصد المشكلات والظواهر و الوقائع الاجتماعية و السياسية و الثقافية و ثبت سلبياتها و قدم علاجاً لها ثم قومها و لم يكتف بنقدها.

3- نموذج ذو منطلق إنساني: وهم المثقفين الذين تحرروا من عصبياتهم الضيقة و تحيزاتهم و خصوصياتهم الشخصية المحلية و عبروا عن مجتمعهم.

4- نموذج ذو منطلق إجرائي: أي المثقف الذي يخدم الناس من خلال موقعه دون تقديس المناصب الإدارية، و يعمل على إزالة المعوقات البيروقراطية لكي تتحقق أهداف و غايات الناس.

ويرى د.معن خليل عمر أن هذه النماذج الأربعة تنتعش كلما قل الوعي الثقافي في المجتمع و تنحسر كلما زاد الوعي الثقافي داخله لأن الوعي الثقافي يرتفع مستواه كلما زاد احتكاك المجتمع مع المجتمعات المغايرة له في الثقافة المدنية و الأكثر تقدماً و تطوراً منه. و قد علق على هذه الأصناف بكونها لا تمثل الحالات الإبداعية الخلاقة بل تمثل حالات جامدة و منعزلة تعمل على عزل و إقصاء المثقفين الحقيقيين أصحاب المواقف الواضحة و الصريحة في مواجهة مشكلات المجتمع عن طريق الموضوعية و التحليل و التقويم و الالتزام بعيداً عن الغنى المادي السريع و تقديس المواقع الإدارية و السلطوية⁽²¹⁾. و قد جعلت هذه الحالة المثقف العربي يعيش أزمة حقيقية حالت دون تمكنه من فرض وجوده و نشر أفكاره حددها د.زكي نجيب محمود في ثلاثة عوامل:

1- محاولة المثقف العربي في الجمع بين طرفين متضادين ثقافة موروثية، وثقافة غربية معاصرة اكتسابها ونشأ بين أحضانها تجعله بعيد عن المبادرات الإبداعية فهو بحكم النشأة حين يتبنى قضايا التحرير يقع في الازدواجية، فهو من ناحية يخوض صراعا ضد ثقافة تعلمها و تربي عليها و من ناحية أخرى فهو عاجز عن إعطاء ثقافة بديلة.

2- أزمة أخلاقية و سلوكية نتيجة التناقض بين المبادئ التي يعلنها، والسلوك المتبع و الذي يطلق عليه بالنفاق القبيح.

3- أزمة تتعلق بمجال العلوم و مناهجها، بين الأخذ بالعلم عمليا دون دراية و الشك فيه نظريا تحت دعوى التراث⁽²²⁾.

إن هذه الأزمة جعلت المثقف في المجتمعات العربية يعيشون عزلة وأزمة داخلية حقيقية يبحثون فيها عن ذاتهم، نتيجة انسداد قنوات الاتصال بينهم وبين فئات المجتمع الأخرى بفعل انعدام بيئة ثقافية واجتماعية ملائمة تساهم في نمو أفكارهم و تفاعلها مع التغيرات الواقعة في المجتمع، جعلته هذه الأزمة يسأل أسئلة عديدة منها بأنه يفكر لمجتمع لا يقرأ بسبب نقشي الأمية وسيادة القيم المادية و عزوف الفئات المثقفة عن القراءة و النقد.

3- أسباب تدهور دور المثقف في المجتمعات العربية.

لقد تباينت الآراء المعللة لأسباب تدهور دور المثقف في الوطن العربي، ولأجل تفسير هذه الحالة فقد شخصت عوامل التدهور من طرف بعض المفكرين والباحثين، فوجدوا منها ما يتعلق بانعدام فضاء حر للكتابة التعبير، ومنها ما هو متعلق بالمستوى التعليمي للمجتمع في حد ذاته إضافة إلى بعض العوائق الاقتصادية والمادية التي تعوق المثقفين دون نشر أفكارهم و تحصيل أفكار جديدة بسبب عدم توفر إمكانيات النشر و الترجمة.

وقد كانت مساهمة العديد من المفكرين في تحديد هذا الأسباب واضحة **فالمفكر حامد ربيع** يعتقد أن من بين هذه الأسباب هو " هروب المثقفين من وظيفتهم الحقيقية في التقييم و النقد و الرفض، إلى جانب عدم القدرة على التعمق و التحليل و فهم المشاكل و النقل الأجوف عن الفكر الغربي دون فهم حقيقي لهذا الفكر، إلى جانب ذلك تبعية المثقف للسلطة ... " (23).

أما عالم اجتماع اللبناني **سمير خلف** فقد ارجع أسباب أزمة المثقف العربي إلى:

1- انعدام الحوار الحقيقي وغياب تقاليد راسخة للاجتماع في حلقات ثقافية منظمة نتج عنه تفتت و تفرق طبقة المثقفين.

2- ارتباط المثقف العربي بتفكير الأجداد والمراكز التقليدية لأنها تجعل لهم قيمة اجتماعية و تشعرهم بالأمن والطمأنينة اكبر من أي منظمة أخرى.

3- انعدام حرية التفكير في المجتمعات العربية.

4- زحف جماعات التكنوقراطيين على مواقع السلطة في المجتمع مما أدى إلى ضعف تأثير فئة المثقفين في المجتمع (24).

فيما يشير د. **علي الدين هلال** إلى أن من بين أسباب هذه الأزمة هو "مشكلة انقسام الجماعات الثقافية إلى جماعتين جماعة ذات تعليم ديني وجماعة ذات تعليم مدني مما يؤدي إلى الاغتراب الفكري. إلى جانب مشكلة العلاقات مع السلطة و أزمة التعبير ومشكلة العلاقة مع المجتمع الذي ينتمي إليه (25) ".

أما الأديب و المفكر **نجيب محفوظ** فيرجع هذه الأزمة إلى طبيعة الوضع الاقتصادي و اهتمام الناس (بلقمة العيش) أكبر من أي شيء آخر.... (26).

أما الدكتور احمد خليفة فيرى أن السبب الرئيسي لعدم قيام المثقفين بدورهم يرجع إلى " انه لا يمكن الحديث عن مثقفين داخل مجتمع غير مثقف بسبب انعدام صلة الفهم و التفاهم التي تمكنهم من القيام بدورهم (27) ".
استنادا إلى الأسباب التي عرضها هؤلاء المفكرين يتضح أن عوامل تدهور دور المثقفين في المجتمعات العربية يعود إلى مجموعة من العوامل الداخلية المرتبطة بالبيئة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي يعيش فيها المثقف و العوامل الخارجية الوافدة من خارج هذه البيئة.

العوامل الداخلية:

- 1- تضيق الحريات العامة (حرية التعبير، حرية البحث العلمي، حرية التنقل، حرية الإعلام و الاتصال ...) في البلدان العربية.
- 2- انعدام الممارسة الديمقراطية في المجتمعات العربية سواء تلك المتعلقة بالحاكم و المحكوم أو تلك المتعلقة بالمعاملات اليومية بين الأبناء و الأولياء.
- 3- شعور أغلبية المثقفين بالإحباط و بالعزلة نتيجة التهميش المقصود من طرف السلطة الحاكمة.
- 4- الرغبة لدى بعض المثقفين في الحصول على مراتب في السلطة أو الاقتراب من مواقعها أدى إلى عدم الالتزام و الوفاء العلمي والفكري لدى بعض المثقفين.
- 5- تعفن المناخ السياسي و سيادة الفوضى الثقافية.
- 6- التباين في المستويات المعيشية بين المجتمعات العربية أدى إلى عدم توازن الطبقة الثقافية ففي الوقت الذي يعاني بعض المثقفين من الحرمان و العجز أمام تلبية حاجاتهم الاجتماعية، يعيش البعض منهم

في بلدان أخرى في رفاهية مترفة أدت إلى سيادة السلوك الاستهلاكي مقابل ركود فكري و ثقافي.

7- هجرة المثقفين من كتاب و فنانيين وجامعين إلى الدول الغربية لتحقيق طموحاتهم الفكرية و العلمية و تحسين واقعهم المعيشي.

8- انتشار الأمية وغياب الوعي لدى فئات كبيرة من المجتمع العربي صعب في دور المثقف و عقد مهامه.

9- سيادة الأفكار و القيم التقليدية في الأوساط الاجتماعية العامة جعل صنف المثقفين بالخبرة هم السواد في المجتمع.

10- عدم الالتزام و الولاء للثقافة المحلية لدى بعض المثقفين ولد أزمة أخلاقية بينهم و بين المجتمع الذي ينتمون إليه مقابل التمسك بالقيم و الأفكار الغربية و اتهام الأفكار و القيم الموروثة بأنها سبب تخلف هذه المجتمعات.

العوامل الخارجية:

1- الضغوط الخارجية التي هي ذات طابع سياسي و اقتصادي مثل ضغط المؤسسات المالية و السياسية و الثقافية الدولية بمحاولة فرض القيم و النماذج الغربية على هذه المجتمع العربي مما يؤدي إلى استصغار الأفكار و الأبحاث المحلية.

2- الغزو الثقافي في إطار العولمة عن طريق فتح المدارس الأجنبية وتدعيمها مقابل اتهام المدارس الوطنية بالتخلف و الفشل في مسايرة التغييرات العالمية.

3- الإجراءات التي تقدمها المؤسسات الأجنبية للطبقة المثقفة المحلية من باحثين و جامعيين من اجل الاستفادة من خدماتهم و تحسين صورتها لدى هذه الشعوب.

4- الاهتمام الأجنبي بكتابات و أبحاث المفكرين العرب وتقديم تسهيلات مالية للنشر والترجمة وحوافز تشجيعية مقابل تدعيم نموذجها الاستغلالي.

على العموم و من خلال ما سبق من الآراء المختلفة حول عوامل ضمور دور المثقف العربي في فضائه الحضاري نعتقد أن أهم هذه العوامل تتباين بتباين شخصيات المثقفين أنفسهم، منها أسباب ترجع إلى عوامل ذاتية تتعلق بالمثقف ذاته بسبب اهتمامه بالناحية الفردية و الذاتية و إهماله للجماعة والعامّة وانغماسه فيها، و منهم من ربط علاقته بالسلطة بالتداعي أمامها ومدحه لها قصد الحصول على امتيازات خاصة، و منهم من ترجع أسبابه إلى حالة التغريب التي ينتهجها و التي أصبحت ملازمة له دوماً في كتاباته وأفكاره وسلوكاته إلى جانب بعض الأسباب التي توصف بأنها بيئية مثل انعدام الحرية الفكرية، و الديمقراطية و حق الكتابة و التعبير.

4- الدور المستقبلي للمثقف العربي.

إن التصور المستقبلي للدور الذي ينبغي أن يكون عليه المثقف العربي لا بد أن يستند على الوظيفة التاريخية التي عرف بها كضمير للجماعة وذاكرة الأمة، و العنصر الموجه لوعي المجتمع عن طريق تفعيل أدوات الفعل لديه اجتماعياً و سياسياً و أخلاقياً حتى يكون بمثابة الشخص القادر على مواجهة و مقاومة كل أشكال الاختراق الثقافي الداخلية والخارجية، و من ثم الاستمرار في بناء دعائم المجتمع الحضاري و إثبات نجاعة و دور الفكر في تغيير القيم اليائسة و المعتقدات البالية التي تميز المجتمعات العربية جملة، لأن الفكرة كما هو معروف قد تستمر ضد القدر الإنساني وتسخر لمصلحة العنصر البشري⁽²⁸⁾.

لذلك فإنه ينبغي على المثقف العربي أن يكون القدوة كإنسان وذلك في قلمه، و في موقفه و سلوكه قادرا على المواجهة و التغيير مؤمنا بدوره، تعنتليه فكرة النجاح لا منفصلا عن ما يحدث في مجتمعه ليعيش بين الموتى و ذكريات الماضي لأجل حل مشاكل الحاضر بل مندمجا في مجتمعه و مشاركا في نقد و تقييم أنظمتها، فدوره في الأساس مرتبطا بنواتج النظام التعليمي والاجتماعي والثقافي و ما توفره من فضاء ديمقراطي حر يساهم في إبداع المثقف، و لذا فإنه مطالب أكثر من أي وقت مضى بفرض أفكاره و تصورات التي تخدم مصلحة المجتمع الذي ينتمي له.

كما أن التغني تارة و التباكي تارة أخرى على شعارات الحرية والديمقراطية و حقوق الإنسان... الخ والمطالبة بتجسيدها و حمايتها في المجتمعات العربية لا يكفي، لأن المتقنين أنفسهم مطالبون بالكفاح والمقاومة لتحقيقها كما فعلوه نظرائهم و لا يزالون يفعلونه في الدول التي عرفت شوطا متقدما في هذا المجال، و ذلك من خلال الاختراق و الاندماج في كافة الهيئات الاجتماعية و الثقافية و السياسية دون الانغماس و التوقع فيها.

أما عن المزوجة بين الثقافات لا يعني تفضيل ثقافة عن أخرى و محاولة فرضها على الآخرين و إنما المزوجة تعني التكامل والتجانس دون استعلاء أو استصغار للقيم و المعتقدات المشكلة للثقافة المحلية لأن المسؤولية الملقاة على الطبقة المثقفة من أساتذة و جامعيين وصحافيين وكتاب ومحامين ونواب و غيرهم تحتم عليهم أن يكونوا وسطاء بين المجتمع و النظام الحاكم للتعبير عن رغباته و انشغالاته و الدفاع عن مصالحه عن طريق تقييم السلطة و فضح الممارسات المشبوهة وأشكال الفساد المنتشرة. إن التحدي الحقيقي الذي يواجه المثقف في حاضرنا العربي يجعله أمام خيارين إما الخضوع لضغوطات المجتمع التي قد تحد من دوره

و فاعليته و تهدد وظيفته، و إما أن يقاوم هذه الضغوط و يعمل على تحييدها و إضعافها و إن يؤدي وظيفته دون خوف أو تردد. و في هذا الإطار فقد أورد الكاتب أمين هويدي تصويره للمثقف الحقيقي في مقاله (المثقفون بين المناصب و المواقف) إن اقتراب المثقف من أصحاب القرار خطوة لا غبار عليها بشرط ألا يكون ذلك على حساب اعتقاداتهم، وأن يكون ذلك بدافع خدمة القضايا فالولاء يكون للرئاسة و ليس للرئيس. على المثقف أن ينزل من برجه العاجي إلى الشارع و الواقع و يحتك بال جماهير ليعيش قضاياها و يبحث عن علاج و لا يكتفي بتوصيف المشاكل و الرجوع على أصولها التاريخية فهو مطالب بأن يقترح حلاً⁽²⁹⁾.

ما يمكن قوله أن أزمة الثقافة العربية عامة و أزمة المثقف العربي بالخصوص لا تكمن في البناء المعرفي للمجتمع و إن الحديث على ضرورة اللجوء إلى الإصلاحات و التعديلات في برامجنا التعليمية و إدخال بعض التقنيات الحديثة و إصلاح منظومتنا الإدارية و التسييرية، أو الانفتاح و الاحتكاك بالثقافات الأخرى لا يكفي لاسترجاع الحياة الثقافية لمجتمعاتنا لأن واقع المجتمعات العربية بسبب حالة التخلف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية جعلها تعيش حالة من التشوه و التبعية، لذا فإن العمل على تخطي هذا الأزمة يستوجب تحسين الوضعية السياسية و الاقتصادية و الفكرية للمجتمع العربي للقضاء على التناقضات الموجودة في البناء الاجتماعي و البناء المعرفي و الثقافي. و من هنا يأتي دور المثقف الذي ينبغي أن يعمل و أن يدعو إلى تكوين ثقافة ذات مضمون وطني ترتبط بالحياة المعيشية للمجتمع الذي ينتمي إليه بحيث تعكس بصدق ووعي حاجات الناس و تهيئهم لخدمة قضاياهم دون تزييف و تشويه لضمان علاقة صريحة و واقعية ليست مغتربة ما بين المثقف و مجتمعه.

المراجع:

- 1- حسن حنفي، في الثقافة السياسية، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 1988، ص182- 186.
- 2- Jacqueline Russ , les théories du pouvoir, librairie générale française, paris , 1994, p225.
- 3- Ibid , p230.
- 4-Jean marc piotte, la pensée politique de Gramsci , édition électronique, ChicoutimI, Guebec, 2002, p17.
- 5- جون بول سارتر، دفاع عن المثقفين، الترجمة العربية، بيروت، 1973، ص. 33.
- 6- Jacqueline Russ: Opcit, p231.
- 7- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن وحنبل نكبة ابن رشد، ط2 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص31.
- 8- جمال علي زهران، تأثير الأوضاع المجتمعية على دور المثقف العربي، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، مجلة الوحدة، السنة 4، العدد 40، جانفي، 1988 ص.35
- 9- زكي نجيب محفوظ، هموم المثقفين، بيروت: دار الشروق، 198، ص 11، 12.
- 10- حيدر إبراهيم علي، المثقف العربي و السلطة، بيروت: المجمع الثقافي العربي، 1996، ص.88
- 11- احمد موصللي، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، ط1، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 86.

- 12- ادوارد سعيد، صور المتقف، ترجمة غسان غصن و مراجعة منى أنيس، بيروت: دار النهار للنشر، 1994، ص. 28، 29
- 13- جمال علي زهران، مرجع سبق ذكره، ص. 35
- 14- برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، ط2، بيروت: دار التنوير، 1987، ص. 110
- 15- M. teitler, & autres, *Elites, pouvoir et légitimité au Maghreb*, édition du centre national de la recherche scientifique: Paris, 1973, p14.
- 16- علي حرب، الفكر و الحدث، ط2، بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1997، ص 120.
- 17- معن علي خليل، نماذج من المتقفين في المجتمع العربي، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، مجلة الوحدة، السنة 4، العدد 40، جانفي 1988، ص. 50
- 18- المرجع نفسه، ص. 50
- 19- المرجع نفسه، ص. 51
- 20- المرجع نفسه، ص. 51
- 21- المرجع نفسه، ص. 52
- 22- زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص. 26
- 23- حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و إرادة التكامل القومي، القاهرة: دار الموقف العربي، 1983.
- 24- جمال علي زهران، مرجع سابق، ص. 40.
- 25- المرجع نفسه، ص. 41.
- 26- نجيب محفوظ، في حوار مع جريدة الأهرام، 1984/9/10، ص. 11.

- 27- جمال علي زهران، مرجع سابق، ص.41
- 28- محمد شكري سلام، وظائف و أدوار المثقف بين الثابت والمتغير، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، السنة 18، العدد 200، أكتوبر 1995، ص. 75.
- 29- أمين هويدي، المثقفون بين المناصب و المواقف، مجلة العربي، الكويت، العدد 547، جوان 2004، ص.36.
- * قضية "دريفوس" بدأت عام 1894 حينما كشف عن برنامج أرسل إلى الميجر "شفارتز كوين" الملحق العسكري الألماني بباريس، و معه قائمة بالوثائق السرية التي وعد كتب البرنامج تقديمها، وأدانت المحكمة العسكرية الكابتن اليهودي "الفرد دريفوس" (1895 - 1935) بتهمة الخيانة وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة بجزيرة الشيطان عام 1894 وفي عام 1896 أعيد النظر في القضية التي أصبحت مثار نزاع سياسي قسم فرنسا إلى قسمين: حيث كان الملكيون والعسكريون و الكاثوليك، يرون إدانة "دريفوس" شرعية، بينما أيد براءته الجمهوريون والاشتراكيون و المعادون لرجال الدين، و بعد مدة أعيدت المحاكمة مرة ثانية عام 1899 ثم عفا عنه الرئيس "لو بيه" و في عام 1906 أبرئت ساحته وأعيد للجيش، وكان لهذه القضية دور هام في التعجيل بين الكنيسة والدولة.